# قلت له إقرأ الصحيحين ، ولا تدع تناقضاً إلاّ أحصيته ، ولا رطانه إلاّ وقفت عندها ملياً . إذ ذاک ستجد ، بغيتک!

ولد فى المغرب مدينه ( مولاى إدريس ) سنه 1967م ، فى أسره مالكيه المذهب لكنه من حيث النسب ينحدر من أصول إسماعيليه نسبه إلى إسماعيل إبن الإمام جعفر الصادق (ع) كاتب قدير له عده مؤلفات وصحافى بارز كتب فى العديد من الصحف ، تلقى دراسته الإبتدائيه والثانويه بالمغرب ثم هاجر الى المشرق ودرس بالحوزه العلميه فى الشام بعد تشيعه.

وقع بين يدى كتابين يتحدثان عن فاجعه كربلاء وسيره أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) ولأول مره أجد كتاباً يحمل لهجه من نوع خاص - مناقضه تماماً لتلک الكتب التى عكفت على قراءتها ، لم أكن أعرف إن صاحب الكتاب رجل شيعى ، لأننى ماكنت أتصور أن الشيعه مسلمون ! فكانت تختلط عندى المسأله الشيعيه بالمسأله البوذيه أو السيخيه ، والوضع السنى لايجد حرجاً فى أن يملى علينا ذلک ، إنّه كان يكرس هذه النظره لدى الأفراد ، ولايصحح مغالطاتهم.

وفجأه وجدت نفسى مخدوعاً ، لماذا هؤلاء لا يكشفون الحقائق للناس ، كما هى فى الواقع ؟ لماذا يتعمدون إبقاءنا على وعينا السخيف ، تجاه أكبر وأخطر مسأله وجدت فى تاريخ المسلمين ؟ ثم لماذا لايتأثرون بفاجعه الطف العظمى ، تلک التى ماجت فى دمى الحار بالإنصاف والتوق إلى العداله ، فتدفقت بالحسره والرفض والمطالبه بالدم الضائع فى منعطفات التاريخ الإسلامى.

كنت - قبل ذلک - ذا ثقافه آحاديه الجانب هى ثقافه أهل السنه والجماعه ، وفجأه وجدتنى ملتزماً بخط لا أعرف له أساساً تاريخياً ، وصرت واحداً من الإخوان المناضلين الذين ضاقوا بظلم الواقع ، وأرادوا أن يعيدو سيناريو العذاب التى جرت وقائعها فى السجن الحربى ( ليمان طره ) فى مصر.

فى تلک اللحظه غمرتنى أدبيات الحركه الإسلاميه ، وأخذت منى مأخذها وتملكنى فكر المحنه لدى سيد قطب بكلماته المشعه أدباً والتى حملت فى أحشائها تلک الظلال الوارفه بياناً وبديعاً ، فأبيت ألا إن أغزو الظلم قبل أن يغزونى .. ولعلى تعثرت كثيراً بسبب الأدبيات التى عبثت بوعيى الصغير يومئذ ولا أنكر أنى كنت من أنصار ( الهجره والتكفير ) وإننى ما أزال أحفظ ، عن ظهر قلب تراتيل الفريضه الغائبه!.

ترى ، ماهو هذا الظلم الذى مازلت كل حياتى أشتكى منه وأفرض من خلاله كل الأوهام على نفسى ؟ ، لم أجد جواباً شافياً فى ذهنى ، سوى ماركز فى نفسى من أدبيات حركيه إستلهمتها من كتابات معينه وكلمات جميله لم أجد لها فى ثقافتى الجمهوريه نسبه إلى الجمهور بديلاً.

- هذه وحدها الحدث الذى أعاد رسم الخريطه الفكريه والنقيه فى ذهنى ، إن هذا الظلم الذى أعانى منه ليس جديداً على الأمه ، فلقد سبقه ظلم أكبر ، وعلى أساس هذا الظلم القديم قالت لى أفكارى : إن هؤلاء الظالمين اليوم يسلكون طريقاً أسسه رجالات كانوا يشكلون حجر عثره إمام مسيره الأمه من آل البيت (ع) حتى إذا ورد جيل المحنه حالياً ، فأراد أن ينظم مشروعاً لمعارضه الظلم السياسى فى الأمه على قاعده الظلم نفسه الذى كان سبباً فى التمكين لهؤلاء الظلمه سوآلاً غريب ، لكنه واقعى ! ترى تناقضاً رهيباً بين تنزيه ظلمه الماضى وتثوير المجتمع على ظلمه الحاضر .. فما الفرق بين الماضى والحاضر.

كنت كلما طرحت سوآلاً على نفسى رأيت شيطاناً يعترينى ويقول لى :دع عنک هذا السؤال ، فهل أنت أعظم من ملايين المسلمين الذين وجدوا قبلک وهل أنت أعلم من هؤلاء الموجودين حتى تحسم فى هذه الحاله.

لقد كبرت فى عينى هذه الكثره الغالبه وصعب على مخالفتها ، لولا أن هدانى ا ، بيد أن شيئاً واحداً جعلنى أنتصر عليها ولا أبالى ، وهى عندما وجدتها جاهله وتعلمت كيف أخالف المجتمع الجاهلى ، والصمود إمام الأمواج البشريه المتدفقه والتى ليس لها منطق فى عالم الحقائق سوى كثرتها.

كنت أطرح دائماً على أصدقائى ، قضيه الحسين المظلوم ، وآل البيت (ع) لم اكن أطرح شيئاً آخر ، فإنا ظمآن الى تفسير شاف لهذه المآسى ، لم أكن أتصور ،أنا مسلمفى القرن العشرين ، كيف يستطيع هؤلاء السلف الصالح أن يقتلوا آل البيت (ع) تقتيلا!.

إن هذه الفكره التى إنقدحت فى ذهنى باللطف الإلهى جعلتنى أدفع أكبر ثمن فى حياتى ، وكلفتنى الفقر والهجره والأذى .... وما زادنى فى ذلك إلاّ إيماناً وإصراراً ، وتذكرت قوله شهيره للإمام على (ع) لما قال له أحد شيعته : إنى أحبك يا أمير المؤمنين فأجابه : إذاً ، فأعد للفقر جلباباً! ، لم تكن عندى يومها المراجع الكافيه لإستقصاء المذهب الشيعى .... لكننى أسندت ذلك القليل الذى أملكه من كتب الشيعه بدراساتى النقديه والمعمقه ، لكتب أهل السنه والجماعه.

من الذى شيعك ، واى الكتب إعتمدتها ؟ ! ، قلت له : أما بالنسبه ، لمن شيعنى ، فإنّه ، جدى الحسين (ع) ومأساته الأليمه أما عن الكتب ، فقد شيعنى ، صحيح البخارى والصحاح الأخرى ، قال : كيف ذلك ؟ ، قلت له : إقرأها ، ولا تدع تناقضاً إلاّ أحصيته ، ولا رطانه إلاّ وقفت عندها ملياً .. إذ ذاك ستجد ، بغيتك!.

ويعلم ا ! أننى رسخت قناعاتى الشيعيه ، من خلال مستندات أهل السنه والجماعه أنفسهم ، ومن خلال مارزحت به من متناقضات وكان الكتاب أحياناً يتعرض بالشتم والسباب للشيعه ، وإذا بى أزداد بصيره ببراءتهم.

كنت وقتذاك أبحث عن شيء واحد ، هو إن أتأكد من حقيقه العلاقه والتلازم بين الفكر الشيعى ، والأئمه من أهل البيت (ع) وهل هم فعلاً مصدر هذه الأفكار ؟ أو إن الفكر جديد كل الجدّه ، ولم يكونوا قد تداولوه فى عصر الأئمه؟

إننى أدركت بعد ذلك أن الأئمه ، كانوا أكبر من أن يتبعوا غيرهم ، وما ثبت فى التاريخ الإسلامى أن تعلّم إمام من أئمه أهل البيت (ع) على يد عاميه ، بل هم كانوا أساتذه لأئمه أهل السنه والجماعه ، الذين مالبثوا أن مالوا وإستكانوا لرغبه الأمراء والخلفاء وسكتوا عن أشياء وضمّموا أخرى وأخضعوا فكر الأمه لعزيزه البلاط!.

هل ما عليه الشيعه اليوم من عقيده وعبادات كان جارياً فى عصر الأئمه ؟.

بينما أنا أتصفح تفسير إبن كثير ، إذا بى أعثر على تفسير الآيه الكريمه: وإمسحوا برؤوسكم وأرجلكم، حيث أورد وجهات النظر الفقهيه المختلفه بين القائلين بالغسل والقائلين بالمسح إستحصر خطاباً للحجاج بن يوسف الثقفى ، يقول فيه بالغسل ، وكان هو الخطاب الحاسم فى تفسير غبن كثير للآيه الكريمه.

وأورد قصه ، عن أصحاب زيد بن على (ر) قال إبن أبى حاتم ، حدثنا : أبى ، حدثنا : إسماعيل بن موسى ، أخبرنا : شريك ، عن يحيى بن الحرث التيمى يعنى الخابر قال : نظرت فى قتلى أصحاب زيد فوجدت الكعب فوق ظهر القدم وهذه عقوبه عوقب بها الشيعه بعد قتلهم تنكيلاً بهم فى مخالفتهم الحق وإصرارهم عليه ، وهكذا قتلوا فى المعركه ومسخت جثثهم ، حيث إنقلبت أكعابهم الى ظهر الرجل.

ا أكبر ! وشهد شاهد من أهلها ، إن هذه الممارسه الفقهيه والعباديه لم تأت من الأهواء اللاّحقه ، بل كانت متداوله فى عصر الأئمه ، وتحت سمع واحد من قيادات بنى هاشم والمقربين إلى الأئمه ، وهو زيد بن على بن الحسين رضوان ا عليه فإذا كان زيد وأصحابه مسخوا فى تفسير إبن كثير ، فيا تاريخ سجل ، إننى أول الممسوخين! إن هذا ليس هو أول لغم فى تراث أهل الجماعه يفجر غضبى ، ففى مقدمه إبن خلدون ، حقيقه أخرى ، يجب الوقوف على وقاحتها ، إذ قال :وش أهل البيت فى مذاهب إبتدعوها ، وفقه إنفردوا به!.

إن هذا يعنى إن المتهم الأول هم آل البيت (ع) الذين قال : فيهم الرب سبحانه :إنما يريد ا ليذهب عنكم أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

هذان المثالان طمأنانى ، على مدى تمازج الشيعه بآل البيت (ع) وكان أهل البيت (ع) أيضاً موضع إتهام مع أشياعهم.

خرجت الى الساحه بقوه ، بعد أن تشبعت بكل المقومات السجاليه والكلاميه ، وبعد إن وقفت على آخر تذرعات العامه ، وحصلت لى سجالات كثيره ، وحوارات طوال مع مختلف طبقاتهم وبعلم ا إنهم كانوا فى كل الأحوال ضعيفى الحجه ، سقيميها ، هزيلى المنطق ، عليليه ، لايصمدون إمام إبسط مقوله عقليه فى الحوار ، كيف يراد لى أن أسلك مذهباً يقوم على الصنميه التاريخيه ، إننى أدركت منذ البدايه إننى لست على الإسلام كما كانوا يدعون ، وإنما على مذهب من الإسلام إسمه مذهب السنه والجماعه ، كيف يعقل أن تلغى المذاهب الأخرى ، ويبقى مذهب واحد مستبد بعقول الناس ، ولم تكن له : قدره على الإستمراريه إلاّ لأنه بقى مذهباً رسمياً ، لكل الدول التى تعاقبت الخلافه فى مابعد!.

-

نلخص من هذه الرحله السريعه ، القاسيه ، فى رحاب المعتقد لنعلن أهميه الرجوع الى أصل المعتقدات لإعاده بناء القناعه ، على أسس علميه دقيقه ، بعيداً ، عن ذوى التقليد ، إننى لم اتذوق حلاوه العقيده ، إلاّ فى ظل الجوله ، عندما أوقفنى البحث الطويل ، المضنى على عتبه آل البيت النبوى ، الذين ظلمهم التاريخ - الأموى - ووضع بديلاً عنهم ، نماذج وهميه ، كانت هى حقاً سبباً فى تشتت الدين ضمن مذاهب متفرقه ، ادخلت المسلمين فى فتن ضاريه.

ولما قادنى بحثى إلى الإمام الصادق (ع) شعرت بأننى كنت طيله حياتى مخدوعاً بعظماء وهميين ، إذ أن العملاق المجهول الذى كان معلماً لمئات من علماء هذه الأمه ، لم يوفه تاريخ الجماعه حقه ، بالرغم من أن الأئمه الأربعه أخذوا عنه ، لقد خرجت من الضيق وشدته الى سعه الحق ورحابته ، ومن غبش المعانى الى الوضوح والجلاء.